@ 763 @ كانوا به يستهزئون * فأهلكنآ أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين) ^ يقول تعالى : إن هذه سنتنا في الخلق ، أن لا نتركهم هملا . ^ (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) ^ يأمرونهم بعبادة ا وحده لا شريك له . ولم يزل التكذيب موجودا في الأمم . ^ (وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون) ^ جحدا لما جاء به ، وتكبرا على الحق . ^ (فأهلكنا أشد منهم) ^ أي : من هؤلاء ^ (بطشا) ^ أي : قوة ، وأفعالا وآثارا في الأرض . ^ (ومضي مثل الأولين) ^ أي : مضت أمثالهم ، وأخبارهم ، وبينا لكم منها ، ما فيه عبرة ومزدجر عن التكذيب . ^ (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم * الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون * والذي نزل من السمآء مآء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون * والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا ه ذا وما كنا له مقرنين * وإنآ إلى ربنا لمنقلبون) ^ يخبر تعالى عن المشركين ، أنك ^ (لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) ^ أي : ا وحده لا شرك له ، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات ، بظواهر الأمور ، وبواطنها ، وأوائلها ، وأواخرها . فإذا كانوا مقرين بذلك ، فكيف يجعلون له الولد ، والصاحبة ، والشريك ؟ وكيف يشركون به ، من لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يميت ، ولا يحيي ؟ . ثم ذكر أيضا ، من الأدلة الدالة على كمال نعمته واقتداره ، بما خلقه لعباده من الأرض ، التي مهدها ، وجعلها قرارا للعباد ، يتمكنون فيها من كل ما يريدون . ^ (وجعل لكم فيها سبلا) ^ أي : جعل منافذ ، بين سلاسل الجبال المتصلة ، تنفذون منها إلى ما وراءها من الأقطار . ^ (لعلكم تهتدون) ^ في السير في الطرق ولا تضيعون ، ولعلكم أيضا ، تهتدون في الاعتبار بذلك ، والادكار فيه . ^ (والذي نزل من السماء ماء بقدر) ^ لا يزيد ولا ينقص ، ويكون أيضا ، بمقدار الحاجة ، لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع ، ولا يزيد بحيث يضر العباد والبلاد . بل أغاث به العباد ، وأنقذ به البلاد من الشدة ، ولهذا قال : ^ (فأنشرنا به بلدة ميتا) ^ أي : أحييناها بعد موتها ^ (كذلك تخرجون) ^ أي : فكما أحيا الأرض الميتة الهامدة بالماء ، كذلك يحييكم ، بعدما تستكملون في البرزخ ، ليجازيكم بأعمالكم . ^ (والذي خلق الأزواج كلها) ^ أي : الأصناف جميعها ، مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون ، من ليل ، ونهار ، وحر ، وبرد ، وذكر ، وأنثى ، وغير ذلك . ^ (وجعل لكم من الفلك) ^ أي : السفن البحرية ، الشراعية والبخارية ^ (و) ^ من ^ (

الأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره) ^ وهذا شامل لظهور الأنعام ، أي : لتستقروا عليها . ^ (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) ^ بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها ، والثناء عليه تعالى بذلك ولهذا قال : ^ (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) ^ أي : لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك ، والأنعام ، ما كنا مطيقين لذلك ، وقادرين عليه . ولكن من لطفه وكرمه تعالى ، سخرها ، وذللها ، ويسر أسبابها . والمقصود من هذا ، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره ، من إفاضة النعم على العباد ، هو الذي يستحق أن يعبد ، ويصلي له ويسجد . ^ (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) ^ أي : وإنا إلى خالقنا لراجعون بعد هذه الحياة ليحاسب كلا بما قدمت يداه . وفيه إيذان وإعلام ، بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه ، من المسير ، ويتذكر منه المسافرة العظمى ، التي هي الانقلاب والرجوع إلى ا تعالى : فيبني أموره في مسيره ذلك ، على تلك الملاحظة . ولا يخطر بباله في شيء ، مما يأتي ويذر أمرا ينافيها ، ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع . ^ (وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين * أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين * وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحم ن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم * أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين * وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحم ن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون * وقالوا لو شآء الرحم ن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون * أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنآ آبآءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك مآ أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوهآ إنا وجدنآ آبآءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبآءكم قالوا إنا بمآ أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) ^ يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين ، الذي جعلوا تعالى ولدا ، وهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولم يكن له كفوا أحد . وإن ذلك باطل من عدة أوجه : منها : أن الخلق كلهم عباده ، والعبودية ، تنافي الولادة . ومنها : أن الولد جزء من والده ، وا تعالى بائن من خلقه ، مباين لهم في صفاته ، ونعوت جلاله ، والولد جزء من الوالد ، فمحال أن يكون ا تعالى ولد . ومنها : أنهم يزعمون أن الملائكة بنات ا ، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين . فكيف يكون البنات ، ويصطفيهم بالبنين ، ويفضلهم بها ؟ فإذا يكونون أفضل من ا ، تعالى ا عن ذلك علوا كبيرا . ومنها : أن الصنف الذي نسبوه ، وهو البنات ، أدون الصنفين ، وأكرهها لهم ، حتى إنهم من كراهتهم لذلك ^ (إذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا) ^ من كراهته وشدة بغضه ، فكيف يجعلون ما يكرهون ؟ ومنها : أن الأنثى ناقصة في